مواقف من إيثار الصحابة و السلف الصالح

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد للـــه رب العـــالمين، والصـــلاة والسـلام على أشـرف الأنبيـاء والمرسـلين، نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين.. أمـا بعد؛

أخي القارئ الكـريم، في هـذه الصـفحات القلائـل نُـذكِّرك بجـانب من جـوانب الأخلاق الكريمة التي اتَّصفت بها صحابة رسول اللــه وأتبـــاعهم من الســـلف الصـــالح، وأركـــز الحديث في هذه الأسـطر على خِصـلة نبيلـة وصـفة جميلـة كـانت مترجمـة في حيـاتهم العملية، ألا وهي الإيثار، وهو أن يجـود المـرء بما عنده مع الحاجة إليه، وهو أعلى درجــات السـخاء، إذ السـخاء عبـارة عن بـذل مـا لا يحتاج إليه المحتاج أو لغير محتاج، والبذل مع الحاجة أشد. وقـد أثـنى اللـه تبـارك وتعـالى على الصـحابة رضـي اللـه عنهم بـه، فقـال تعـالى: **وَيُـؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** [الحشـر: 9]، فالإيثـار خلـق من الأخلاق العظيمـة، وكـان ذلـك من أدب الرسـول حـتى سـمَّاه اللـه سـبحانه وتعالى عظيمًا، فقـال: **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُـقٍ**

عَظِيمٍ [القلم: 4].

فلا عجب أن يتخــرج من مدرســته تلــك النماذج البشرية العظيمة التي فاضـت كتب التاريخ والسير بأخبارها، وعجزت الإنســانية أن تلد مثلها.

ونورد في هذه العُجالة بعض النماذج من أخبارهم الدَّالة على هذه الصفة النبيلة، مـع ذكر بعض أخبـار السـلف الصـالح المقتـدين بآثارهم لتكـون مثلاً يُحتـذى بـه لهـذا الجيـل الناشـئ، عسـى اللـه أن يجعـل منـه تلـك الطائفة المنصورة الظاهرة على الحقِّ.

إيثار صحابي لضيفه على صبيانه

1- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: جـاء رجـل إلى رسـول اللـه ﷺ فقـال: إني مجهود، فأرسـل إلي بعض نسـائه، فقـالت: والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا ما عندي إلا مـاء، ثُمَّ أرسـل إلى أخـرى فقـالت مثـل ذلـك، حتَّى قلن كلهن مثل ذلك، فقـال: **«من يُضـيِّف هذا الليلة رحمه الله؟»،** فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسـول اللـه، فـانطلق بـه إلى رحلـه، فقـال لامرأتـه: هـل عنـدك شـيء؟ قـالت: لا، إلا قـوت صـبياني، قـال: فعَلِّليهم بشيء، فإذا دخـل ضـيفنا فـأطفئي السراج وأريه أنـا نأكـل، فـإذا أهـوى ليأكـل قـومي إلى السـراج حـتى تطفئيـه، قـال: فقعدوا، وأكل الضيف، فلما أصبح غـدا على النـبي ﷺ، فقـال: **«قـد عجب اللـه من صنيعكما بضيفكما الليلة»** فـأنزل اللـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿**وَيُـؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِـهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَـةٌ**﴾ [رواه البخـاري ومسلم].

إيثار سعد بن الربيع لعبد الــرحمن بن عوف على ماله وأهله

2- وعن عبـد الـرحمن بن عـوف رضـي اللـه عنـه، قـال: «لمـا قـدمنا المدينـة آخى رسـول اللـه بيـني وبين سـعد بن الربيـع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً فأُقسم لك نصف مالي، وانظـر أي زوجـتيَّ هويت نزلت لك عنهـا، فـإذا حلَّت تزوجتَهـا. قال: فقـال عبـد الـرحمن: لا حاجـة لي في ذلك...» الحديث. [أخرجه البخاري ومســلم واللفظ للبخاري].

إيثار عمر بن الخطـاب لأخيـة زيـد على نفسه في غزوة أُحد

3- وعن عبـد اللـه بن عمـر بن الخطـاب رضــي اللــه عنهــا، قــال: «قــال عمــر بن الخطاب لأخية زيـد بن الخطـاب يـوم أحـد: أَقسمتُ عليك إلا لبستَ درعي، فلبســها ثُمَّ نزعها، فقال له عمر: مالك؟ قال: إني أريـد بنفسي مـا تُريـد بنفسك». [رواه ابن سـعد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن].

إيثـــار ثلاثـــة من الصـــحابة على

بعضهم في شرب الماء عند النزع

4- وعن عبـد اللــه بن مصـعب الزبيـدي وحـــبيب بن أبي ثـــابت قـــالا: «استُشـــهد بـاليرموك الحـارث بن هشـام، وعِكرمـة بن أبي جهـل، وسـهيل بن عمـرو، وأُتُـوا بمـاء وهم صرعى، فتدافعوه، كلما دفع إلى رجل منهم قــال: اســقِ فلانًــا حــتى مــاتوا ولم يشـربوه. قـال: طلب عكرمـة المـاء فنظـر إلى سهيل ينظـر إليـه، فقـال: ادفعـه إليـه، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقـال: ادفعه إليه، فلم يصل إليـه حـتى مـاتوا ومـا ذاقوه». [رواه ابن سعد في الطبقـات وابن عبد البر في التمهيد، وجعل ابن سعد مكان سـهيل بن عمـرو، عيـاش ابن أبي ربيعـة. ورجال إسناده ثقات، لكنه مُنقطع].

إيثـــار أبي طلحـــة للنـــبي ﷺ على نفسه في مواجهة العدو في أحد

5- وعن أنس بن مالك رضـي اللـه عنـه: «أن أبا طلحة كان يـرمي بين يـدي النـبي ﷺ يوم أحد، والنبي ﷺ خلفـه يتـترَّسُ بـه، وكـان راميًـا، وكـان إذا رمى رفـع رسـول اللـه ﷺ

شخصـه ينظـر أين يقـع سـهمُه، ويرفـع أبـو طلحة صدره ويقول: هكـذا بـأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا يصيبك سـهم، نحـري دون نحرك. وكـان أبـو طلحـة يشـور نفسـه بين يـدي رسـول اللـه ﷺ -أي يُعرِّضـها للقتـل- ويقول: إني جَلْـدٌ يـا رسـول اللـه، فوجهـني في حوائجـك، ومـرني بمـا شـئت». [رواه أحمد وغيره وإسناده صحيح].

6- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: «أُهـدي لرجـل من أصـحاب النـبي ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلانًا وعيالـه أحـوج إلى هذا منَّا. قال: فبعث إليه، فلم يزل يبعث به الواحد إلي الآخر حتَّى تداولها سبعة أبيـات، حتَّى رجعت إلى الأول، ونـزلت: ﴿**وَيُـؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِمْ خَصَاصَـةٌ**﴾» [رواه البيهقي في الشعب 3/ 259 رقم 3479].

7- وعن نـافع مـولى عبـد اللـه بن عمـر قال: «مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا أول ما جاء العنب، فأرسلت صـفية امرأتـه بـدرهم فاشـترت عنقـودًا بـدرهم، واتَّبـع الرسـولَ سائلٌ، فلما أتي الباب ودخل قـال السـائل:

السـائل. قـال ابن عمـر: أعطـوه إيـاه، فـأعطوه إيـاه. ثم أرسـلت بـدرهم آخـر فاشترت به عنقودًا، فاتَّبع الرسولَ السـائلُ. فلما انتهى إلى الباب ودخـل قـال السـائل: السـائل. قـال ابن عمـر: أعطـوه إيـاه، فأعطوه إياه. فأرسـلت صـفية إلي السـائل فقالت: والله لئن عُدت لا تصيب مني خـيرًا أبدًا، ثم أرسلت بـدرهم آخـر فاشـترت به» [رواه الـبيهقي في الشـعب 3/ـ 260 رقم 3481].

8- وروى مالك بن أنس رحمـه اللـه أنـه بلغه عن عائشـة زوج النـبي «أن مسـكينًا سـألها وهي صـائمة، وليس في بيتهـا إلا رغيـف، فقـالت لمـولاة لهـا: أعطيـه إيـاه فقالت: ليس لك ما تفطـرين عليـه. قـالت: أعطيـه إيـاه. قـال: ففعلت. قـالت: فمـا أمسينا حتى أهـدى لنـا أهـل بيت أو إنسـان ممن كان يُهـدي لنـا شـاة وكفنهـا، فـدعتني عائشة فقالت: كُلي من هـذا، هـذا خـير من قرصك» [رواه مالك في الموطأ 2/ 997].

9- وعن عبد اللـه بن عـامر، عن بريـرة: «أنها كانت عند أم سلمة رضي اللـه عنهمـا

فأتاها سائلٌ وليس عنـدها إلا رغيـف واحـد، فقالت: يا بريرة، أعطيه السائل، فتثــاقلت، ثم تكلَّم السـائل، فقلت: يـا بريـرة، قـومي فأعطيـه، فتثـاقلت، ثم قـالت لهـا: قـومي فأعطيـه، قـالت: فلمـا رأيتهـا قـد عـزمت، قُمت فأعطيتـه، وليس عنـدنا طعـام غـيره. فلما أمسينا وأفطرنا دعت بماء فشربت ثُمَّ وضعت رأسها، فغفت، فإذا إنسان يســتأذن على الباب، فقـالت: يـا بريـرة، انظـري من هذا؟ قالت: فإذا إنسـان يحمـل جفنـة فيهـا شـاة مصـلية وفوقهـا خـبز قـد ملأ الجفنـة قالت بريـرة: فمن السـرور مـا دريت كيـف رفعت. فقالت أم سـلمة: كيـف رأيت؟ هـذا خــير أم رغيفــك. قــالت: قلت: بــل هــذا. فقالت الحمد لله، هذا مع ما ادَّخر اللـه عـزَّ وجلَّ لنا إن شاء الله. قـالت: ولقـد كـان آل رسـول اللـه ﷺ يـأتي عليهم الهلال ثم الهلال ما يوقدون فيه نار سـراج ولا غـيره» [رواه البيهقي في الشعب 3/ 262 رقم 3490].

نماذج من إيثار التابعين وأتباعهم من السلَّف الصالح

10- قــال أبــو حــازم ســلمة بن دينــار

الأعــرج -أحــد التــابعين: «لقــد رأيتُنــا في مجلس زيــد بن أســلم أربعين فقيهًــا أدنى خصـلة فينـا التواسـي بمـا في أيـدينا، ومـا رأيت في مجلســه مُتمــارين ولا مُتنــازعين في حديث لا ينفعُنا». [سـير أعلام النبلاء 5/ 316].

11- وعن عطاء الخراساني: «أن امــرأة أبي مســلم الخــولاني -أحــد كبــار التــابعين الزهاد- قالت: ليس لنـا دقيـق. فقـال: هـل عنـدكِ شـيء؟ قـالت: درهم بعنـا بـه غـزلاً. قال: ابغينيه وهاتي الجِرَاب. فدخل الســوق فأتــاه ســائلٌ وألحَّ، فأعطــاه الــدرهم وملأ الجِــرَاب نُشــارة مــع تــراب، وأتي وقلبُــه مرعوب منها، وذهب ففتحته، فإذا به دقيــق حُــوَّاري فعجنت وخــبزت. فلمــا جــاء ليلاً، وضـعتْه، فقـال: من أين هـذا؟ فقـالت: من الــدَّقيق، فأكــل وبكى» [رواه ابن عســاكر في تاريخ دمشق 27/ 215].

12- وقال الهيثم بن جميل: «جاء فُضـيل بن مــرزوق وكــان من أئمــة الهــدى زُهــدًا وفضـلاً إلى الحسـن بن حيٍّ، وكـان لا يأتيـه ولا يعلمه أنه ليس عنده إلا عند ضيق شديد

فيخبره، فأتاه فأخبره أنه ليس عنده شيء. فقام الحسـن فـأخرج سـتَّة دراهم، وأخـبره أنه ليس عنده غيرهـا، فقـال: سـبحان اللـه ليس عنــدك غيرهــا وأنــا آخــذها!؟ فــأبى الحســن ابن حيٍّ إلا أن يأخـذها كلهـا، وأبى فضيل بن مرزوق حتى ناصفه، فأخـذ ثلاثـة، وتـــرك ثلاثة» [رواه المـــزي في تهـــذيب الكمال 23/ 308].

13- وقـال الخلال: حـدثنا عبـد اللــه بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبو سـعيد بن أبي حنيفة المُؤدِّب: «كنت آتي أباك -يعني أحمد بن حنبـل- فرُبَّمـا أعطـاني الشـيء وقـال: أعطيتــك نصــف مــا عنــدنا؛ فجئت يومًــا فأطلت القعود، فخـرج ومعـه أربعـة أرغفـة فقال: يـا أبـا سـعيد، هـذا نصـف مـا عنـدنا. فقلت: يا أبا عبد الله، هذه الأربعـة الأرغفـة أحبُّ إليَّ من أربعة آلاف من غـيرك» [رواه ابن الجـوزي في منـاقب الإمـام أحمـد بن حنبل، ص 324].

14- وعن يحـيي بن هلال الـورَّاق قـال: «جئت إلى محمـد ابن عبـد اللـه بن نُمـير -أحد أئمـة الحـديث الثقـات- فشـكوت إليـه،

فأخرج إليَّ أربعـة دراهم أو خمسـة دراهم، وقال: هذا نصف ما أملك. قال: وجئت مرَّةً إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأخرج إليَّ أربعة دراهم، وقـال: هـذه جميـع مـا أملك» [رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمـد، ص 325].

15- وقـال يوسـف بن بهلـول: حـدثنا يعقـوب بن شـيبة السَّدوسـي قـال: «أظـلَّ العيـدُ رجلاً، وعنـده مائـة دينـار لا يملـك سـواها، فكتب إليـه صـديق يسـترعي منـه نفقة، فأنفذ إليه بالمائـة دينـار، فلم ينشـب أن ورد عليـه رقعـة من بعض إخوانـه يـذكر أنـه أيضًـا في هـذا العيـد في إضـاقة، فوجَّه إليـه بالصُّـرَّة بعينهـا. قـال: فبقي الأوَّل لا شيء عنده، فاتَّفق أنه كتب إلى الثالث وهو صـديقه يـذكر حالـه، فبعث إليـه الصُّـرَّة بختمها. قـال: فعرفهـا، وركب إليـه، وقـال: خبِّرْني، مـا شـأن هـذه الصُّـرَّة؟ فـأخبره الخـبر، فركبـا معًـا إلى الـذي أرسـلها، وشـرحوا القصـة، ثم فتحوهـا واقتسـموها. قال يوسف ابن البهلول: الثلاثة هم: يعقوب بن شـيبة، وأبـو حسـان الزِّيـادي، وآخـر

نســيته» [ذكــره الــذهبي في ســير أعلام النبلاء 11/ 498، وقال: إسنادها صحيح].

16- وعن عون بن عبد الله قـال: «ظـلَّ رجلٌ صائمًا في عـام سـنة، فـابتُلي بسـائل عند فطره وقد أُتِي بقُرْصين له؛ فألقى إليه أحدهما، ثم قـال: مـا هـذا بمُشْـبِعه ولا هـذا بمُشْــبِعي، ولأن يشــبعَ واحــد خــيرٌ من أن يجوع اثنان. فألقى إليه الآخر، فلمـا أن آوي إلى فراشه؛ أتاه آتٍ في منامة، فقال: سَلْ ما شئت. فقال: المغفـرة. فقـال: قـد فعـل الله بك ذلك؛ فسَلْ غير هـذا. فقـال: أسـأل أن يُغـــاث النـــاس» [رواه الـــدينوري في المجالسة 3/ 47 رقم 650].

وصـلى اللـه على نبينـا محمـد وعلى آلـه وصحبه وسلم.